مجلة علوم التربية

دورية مغربية متخصصة

ملف خاص

التعليم وإشكالياته

العدد الثامن والثلاثون- سبتمبر 2008

المدرسة المغربية ومفهوم المواطنة

د.محمد بنلحسن*

مع نهاية العقد التاسع من القرن الذي ولى، ولج نظام التربية والتكوين بالمغرب منعطفا حاسما، أعلن فيه عن ميلاد المدرسة المغربية الجديدة، وأتى هذا التحول في أعقاب انتهاء أشغال اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، والمتوج بإصدار الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

ومن أبرز مظاهر التحول العميق الذي مس التربية والتكوين بالمغرب في هذه الفترة المهمة، ظهور مصطلحات جديدة أسست لمفاهيم حديثة مبتكرة، أعلنت القطيعة التامة مع تصورات ظلت مهيمنة ردحا كبيرا من الزمن.

ويأتي في طليعة هذه المصطلحات، مفهوم المواطنة الذي تعزز بإطلاقه وصفا على المدرسة المغربية.

ولم يقتصر الأمر على الإطلاق، بل امتد هذا المفهوم، وتغلغل في مناهج التعليم وبرامجه ومقرراته، وأصبح معيارا تقويميا، تقاس به جودة النظام التعليمي برمته.

لقد انتشر مفهوم المواطنة بين أوساط التربية والتكوين وخارجها، وارتبط بالمدرسة المغربية خصوصا، وإن كان مفهوما يهم سائر فئات المجتمع وطبقاته وقطاعاته.

ولعل مساحة هذا الحضور، وأبعاده، وظروفه، ما يدفعنا لطرح الأسئلة الآتية:

ما سياق بروز هذا المفهوم؟ ما دلالاته؟ ماعلاقة المواطنة بالمدرسة المغربية؟ مامظاهر وتجليات المفهوم في النظام التعليمي عموما، ومخرجاته خصوصا؟ ما الأحياز التي يشغلها هذا المفهوم في المناهج والمقررات والبرامج؟؟

* أستاذ باحث، مبرز في اللغة العربية، اقسام التقني العالي، مكناس.

1 - سياق بروز مصطلح المواطنة

لا يمكن الحديث عن مصطلح المواطنة باعتباره من مستجدات النظام التعليمي المغربي، دون الانطلاق من نص الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ الذي يعتبر من مؤسسي المفاهيم الحديثة في المدرسة المغربية، بل إنه يعد بحق المشرع الأول للتصور الجديد الذي حقق طفرة نوعية في هذه المدرسة.

ولا يمكن الحديث عن المواطنة باعتبارها من المفاهيم الجديدة، دون الإشارة إلى ارتباطها القوي بمفهوم المدرسة المغربية الجديدة، التي بشر بها نص الميثاق الوطني للتربية والتكوين، أتى في بداية الميثاق الوطني: «تسعى المدرسة المغربية الوطنية الجديدة إلى أن تكون :

أ ـ مفعمة بالحياة، بفضل نهج تربوي نشيط، يجاوز التلقي السلبي والعمل الفردي إلى اعتماد التعلم، والقدرة على الحوار والمشاركة في الاجتهاد الجماعي؛

ب ـ مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة، والخروج إليه منها بكل مايعود بالنفع على الوطن، مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسة وفضائها البيئي والمجتمعي والثقافي والاقتصادي.» [1]

من خلال هذا النص يتضح لنا الآتي :

1 ـ استعمال الميثاق في الاستهلال، مصطلح المدرسة المغربية الوطنية الجديدة، عوض مصطلح المدرسة فقط، الجاري استعماله، فما دلالاته ؟

من المعلوم أن هذا الاستعمال ليس عفويا، وإنما تتحكم فيه مقاصد بعيدة هي جزء من الاستراتجية التي اشتغلت بها اللجنة الوطنية للتربية والتكوين، والمستوحاة من التوجيهات الملكية إبان خطاب الملك الراحل لمستشاره السيد عبد العزيز مزيان بلفقيه، والذي عينه فيه رئيسا للجنة الوطنية للتربية والتكوين، حيث أتى في نص الخطاب :

« قررنا – تحقيقا لما سبق أن أعلنا عنه – إحداث لجنة خاصة مكونة من شخصيات لها إلمام واهتمام بقضايا التربية والتعليم والتكوين، وبما يرتبط بها، وذلك من أجل اقتراح الاختيارات الأساسية التي من شأنها إعادة النظر في هذا القطاع الحيوي؛ غايتنا المثلى في ذلك إرساء قواعد مدرسة وطنية مغربية، جديرة بولوج القرن المقبل[2]».

من هنا تبدو لنا مرجعيات مواد الميثاق الوطني للتربية والتكوين، كما يتبدى لنا هذا الحرص الكبير على تقديم أنموذج مغاير للمدرسة المغربية العتيقة؛ إنه أنموذج المدرسة المغربية الحديثة المواكبة للمستجدات الحاصلة على أرض الواقع.

ومما يمنح تصريح الميثاق الوطني للتربية والتكوين، السالف الاستشهاد به، منزلة سامية، كونه أتى في سياق ديباجة هذا الميثاق، والأهم، أنه سيق في القسم الأول، الذي عنون ب : المبادئ الأساسية.

إن هذا المفهوم الجديد للمدرسة المغربية، والنابع من تصور خاص يبوئها مكانة رفيعة، يراد ولا شك من خلال نص الميثاق ترسيخه، والبناء عليه، عند تحديد المفاهيم المتفرعة، وصياغة المواد، والمجالات ودعاماتها. لا لشيء إلا لأن منطوق الميثاق ومفهومه ولا ريب، اعتبر المدرسة المغربية الوطنية الجديدة كيانا قائم الذات موجودا بالفعل والقوة، كيف لا، وقد نحا هذا الميثاق، إلى تحديد الغايات الكبرى للمدرسة المنشودة، من خلال تنصيصه على المقاصد التي تسعى إليها هذه المدرسة.

ومما يعبر عن سياق المواطنة في نص الميثاق السالف ذكره، تأكيده انفتاح المدرسة المغربية الجديدة على محيطها، وتبادلها التأثر والتأثير معه، إنها كما يقول نص الميثاق: مدرسة «مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة والخروج إليه منها بكل ما يعود بالنفع على الوطن، مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسة وفضائها البيئي والمجتمعي والثقافي والاقتصادي.»[3]

هذا النص لا يحدد مواصفات المدرسة المغربية الوطنية الجديدة فقط، ولكنه يقدم لنا بعض وظائفها الحاسمة والأساسية، أولى هذه الوظائف، انشغالها بهواجس المجتمع الذي تنفتح عليه، لأنه موجود في قلبها.

وحضور المجتمع في فضاء المدرسة، يتمثل في اشتقاقها محتويات منهاجها ومقرراتها وبرامجها، من وحي البيئة المحيطة بها، وهي بيئة مشتركة بين المتعلمين والمدرسة، والمدرسة ومحيطها.

ولشدة ارتباط المدرسة بالمجتمع، ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار وجود المدارس علامة على الرقي؛ ففي «مجال التمييز بين المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة، نجد أنه من بين العديد من المعايير، يجيء مدى انتشار المدارس في المقدمة، حتى أن البعض يكاد يكتفي بهذا المعيار مؤكدا أن التعليم الذي تقوم به، هو الذي يكفل القضاء على سائر النوائب والبلايا كالفقر والمرض»[4].

إن النص يتحدث عن المدارس عامة، كيف أن وجودها من مؤشرات التقدم، فماذا سيكون وضع المجتمع إذا انتشرت فيه المدارس عامة، والمدارس الوطنية الحديثة خاصة ؟

نستنتج من خلال ما سلف، أي في ظل الإقرار بوجود أواصر قوية بين المجتمع / المحيط والمدرسة، أن المواطنة باعتبارها من قيم المجتمع السامية، وطيدة الصلة بهذه المدرسة، التي يتوخى أن يعم نفعها المجتمع، إنها الرحم التي تنبثق منه القيم النبيلة والسامية، وفي مقدمتها قيمة المواطنة التي تحتل منزلة خاصة وسط القيم كلها.

إن بيان الوشائج المتينة التي تؤلف بين المدرسة الجديدة والقيم عموما، والمواطنة بشكل خاص، يقتضي منا بداءة تعريف المواطنة، فما كنهها ؟

2 - مفهوم المواطنة

تحيلنا كلمة مواطنة على لفظ وطن ، جاء في لسان العرب ، «وطن :الوطن :المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله.... وأوطان الغنم والبقر، مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها...ومواطن مكة :مواقفها... وَطَنَ بالمكان وأوطن :أقام..وأوطنه اتخذه وطنا..يقال :أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذ ها محلا ومسكنا يقيم فيها ... وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها وطنا « (5)

يستفاد من خلال تعريف ابن منظور اللغوي، أن الوطن اسم يدل على المكان الذي يقيم فيه الإنسان، أما لفظ المواطنة الذي يبدو مأخوذا من وطن ، فلا شك يحمل بعضا من معاني كلمة وطن الدالة على اسم المكان الذي يستقر فيه الإنسان، لكن ما المعاني الإضافية التي تحملها ؟

لماذا لم يذكر ابن منظور هذا اللفظ ؟ هل المواطنة لفظ حديث لا صلة له بالماضي ؟

هناك من يعتبر «تاريخ مفهوم المواطنة قديماً يعود إلي زمن الديمقراطية المباشرة الإغريقية التي تعتبر أساس ديمقراطية عالم اليوم ، حيث يرجع أصل استعمال مفهوم المواطنة إلى الحضارتين اليونانية والرومانية ، فقد استعملت الألفاظ civis (المواطن) civitas (المواطنة) في هاتين الحضارتين لتحديد الوضع القانوني والسياسي للفرد اليوناني والروماني .» (6)

لا نستغرب إن ألفينا لفظ المواطنة مستعملا في الحقبة الإغريقية واليونانية ، بسبب ما عرف عن هذه الفترة من تقدم حضاري وفكري امتدت تأثيراته إلى عصرنا الحاضر .

إن ارتباط لفظ المواطنة بالأفراد في المجتمع الديمقراطي، دليل آخر على الصلات المتينة بين المواطنة والديموقراطية.

وإذا علمنا أن الديمقراطية في أبسط تعاريفها هي : ممارسة الشعب حكم نفسه بنفسه ، اتضح لنا مدلول المواطنة باعتبارها وجها من وجوه الممارسة الديمقراطية أيضا .

فإذا كانت الديمقراطية تعني ممارسة الشعب للحكم ، والحكم كما نعلم يقتضي وجود سيادة لهذا الشعب يمارس بموجبها حق الاختيار ، تبين لنا لنا في ضوء ذلك معنى المواطنة باعتبارها جزءا من تلك السيادة؛ أي من الحقوق المشروعة للفرد المواطن.

واتى في الرسالة الملكية الموجهة للمشاركين في الندوة الوطنية الأولى للمجلس الأعلى للتعليم، ربط بين المواطنة والسلوك المدني، حيث اعتبرت الرسالة :

«....السلوك المدني بالأساس، منظومة قيمية – أخلاقية متكاملة، لا تقبل التجزيء، وتتخذ مسارين متوازيين ومتوازنين.

ـ مسار التشبع بقيم المواطنة الكاملة وإشاعتها، من حيث إنها تقوم على التمتع بالحقوق الأساسية، والالتزام الفعلي بالواجبات الفردية والجماعية .

– ومسار التصدي الحازم للسلوكات اللامدنية، بمختلف أشكالها، عبر محاربة مظاهر العنف والغش والرشوة وسوء المعاملة، وغيرها من الممارسات اللاأخلاقية «[7]

المواطنة إذا، الاستفاد ة من الحقوق التي تخولها القوانين بدءا بالدستور، والالتزام بالواجبات الفردية والجماعية.

وقد عرف بعضهم المواطنة بالقول المواطنة:

هي الشعور بالا نتماء الصادق للوطن والعمل المخلص

لرفعته واستقراره، أما التعريف الإجرائي للمواطنة، فهو كل مفهوم، أو مهارة، أو قيمة، أو اتجاه،

يرتبط بالا نتماء الصادق للوطن، والعمل المخلص لرفعته واستقراره.»[8]

من خلال ماسبق، نستخلص أن المواطنة هي، زيادة على الا نتماء المكاني لفضاء محدد، أي الا نتماء إلى وطن بعينه، هي شعور مترتب عن هذا الا نتماء مؤثر في إرادة الفرد وموجه لسلوكة باتجاه التفاني في خدمة هذا الوطن، والسعي من أجل الرقي به ، وكل ذلك طبعا في ظل نيل الحقوق والنهوض بالواجبات.

وهناك من ميز بين المواطنة والهوية بالقول إن « المواطنة انتساب جغرافي، والهوية انتساب ثقافي. المواطنة انتساب إلى أرض معينة، والهوية انتساب إلى معتقدات وقيم ومعايير معينة[9] « المواطنة في نهاية المطاف، شعور وممارسة، شعور بوشائج متينة بين الفرد ووطنه، رقعته الجغرافية ، وممارسة كاملة للحقوق في هذا الوطن، لأن ممارسة الحقوق جزء لا يتجزء من أجواء الدمقراطية التي سلف لنا إبراز مفعولها وجلال منزلتها .

وقد نجد تفسير غياب المواطنة في لسان العرب، في كون النمط السياسي العربي مختلفا عن الأنموذج اليوناني والروماني، فالعرب لم تعرف الدمقراطية في حين آمنت بالشورى، ومادامت المواطنة مرتبطة بالدمقراطية كما سلف البيان ، فبديهي أن تغيب عن القاموس العربي ، لسان العرب التي لم تعرف الدمقراطية نظاما سياسيا في الحكم. لاسيما وقد «أرتبط ظهور مفهوم المواطنة بظهور الدولة الحديثة ذات السيادة في أوروبا في القرن السابع عشر»[10].

3 - المدرسة المغربية والمواطنة

3 1-/ المدرسة المغربية والمواطنة من خلال الخطاب الرسمي :

يمثل الخطاب الرسمي المدخل الرئيس في أي سعي نحو وصف مظاهر الارتباط الوثيق بين المواطنة والمدرسة المغربية ، مادامت المؤسسات الرسمية في المغرب هي التي ترسم لهذه المدرسة الجديدة كما رأينا من خلال خطاب الميثاق ، الطريق والسبيل الذي يجب أن تسلكه من أجل الارتقاء والجودة والمسايرة .

جاء في الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب المجلس الأعلى للتعليم مايلي :

« حضرات السيدات والسادة، لقد أبينا إلا أن نفتتح الموسم الدراسي لهاته السنة بتنصيب المجلس

الأعلى للتعليم، مجددين التأكيد على المكانة المتميزة التي نخص بها الإصلاح التربوي في مشروعنا التنموي، اعتبارا لدوره الحاسم في تعميم المعرفة، وترسيخ قيم المواطنة، وإعداد أجيال المستقبل».[11]

يتبوأ الإصلاح التربوي حسب الخطاب، مكانة متميزة في سلم الأولويات، وذلك بحكم الغايات الكبرى التي يتوخى تحققها من خلاله، ويأتي في مقدمة هذه الغايات ، قيم المواطنة التي يرجى ترسيخها عبر نظامنا التربوي المشمول بالإصلاح المستمر.

إن الإصلاح التربوي يستهدف المنظومة التعليمية التربوية، وهي منظومة معقدة بفعل تداخل مكوناتها وتعدد أطرافها، واليوم «أصبحت المنظومة التربوية ...على جانب كبير من التعقيد ، بحيث تعددت أبعادها ومؤسساتها فهي تشمل ـ إلى جانب الأسرة والمدرسة – وسائل الإعلام بجميع أنواعها التي باتت تشكل مصدرا هاما تستقي منه القيم ونماذج التصرف والسلوك، وتملك سلطانا قويا على تشكيل العقول والنفسيات»[12]

يتبدى لنا، أن المدرسة المغربية الجديدة معول عليها كثيرا من أجل الاضطلاع بأدوار فاعلة لصالح المجتمع والمواطنين عامة.إن المدرسة بمقتضى هذا المفهوم الجديد المؤطر بالغايات السالف سردها، ليست مناطة بالتعليم وتمرير المعرفة، إنها مكلفة فوق ذلك بتقديم الدعم الكافي للمجتمع، دعم يتجسد في مجموع المنافع التي يرجى تحقيقها للوطن والمواطنين على حد سواء. إن المدرسة «لا يمكن فهمها كنواة مستقلة يعني كتنظيم خاص منغلق على ذاته بل اعتبارها بنية مرتبطة بمحيطها، تتفاعل معه وتؤثر فيه وتتأثر به[13]»

إن المدرسة بموجب هذا التصريح ، أمامها واجبات سامية نحو الوطن، فهي ملزمة في ظل المستجدات الراهنة بضخ مخرجات مشبعة بالروح الوطنية العالية في شريان المجتمع، مخرجات ذات كفاءة عالية على مستوى الخبرة والجودة ، والأهم أنها مترعة بالروح الوطنية والمواطنة العالية والصادقة، من أجل تحقيق الطفرة النوعية التي نأملها في ظل مشروع التنمية البشرية والتنمية المستدامة.

إن نظير هذه الإجراءات بمكنتها ولاشك «استرجاع الثقة في المدْرسة المغربية وتمكين بلادنا من مدرسة متصالحة مع مجتمعها مؤهلة ومندمجة في بيئتها، وفاعلة في معركة التنمية البشرية.»[14]

وتحقيقا لهذه الغايات النبيلة المشار إليها آنفا، فقد بوأ الميثاق الوطني، قطاع التربية والتكوين، منزلة سامية ، حيث أعلن «قطاع التربية والتكوين أول أسبقية وطنية بعد الوحدة الترابية «[15]

وإذا أتى التنصيب الملكي للمجلس الأعلى للتعليم متزامنا مع الدخول المدرسي، حاملا دلالات خاصة، يؤول بعضها إلى المنزلة الخاصة التي يحظى بها ملف التعليم، وهاجس الاستمرار في إصلاح منظومته وتحيين إجراءاته لتتوافق مع المستجدات المتلاحقة التي يمور بها واقعنا اليومي ، فإن من أبرز تلك الدلالات ما تعلق منها بموضوعنا، ألا وهو المواطنة والمدرسة المغربية .

ويبدو أن أعضاء المجلس الأعلى للتعليم قد التقطوا هذه الإشارات من خلال الندوة الأولى التي نظمها هذا المجلس في موضوع : «المدرسة والسلوك المدني ».

وقد لقي هذا الاختيار استحسانا كبيرا عبر عنه الخطاب الملكي الذي وجه في رسالة إلى المشاركين في ندوة المجلس الأعلى « المدرسة والسلوك المدني» حيث أتى في نص الرسالة :

«يطيب لنا أن نخاطبكم اليوم في افتتاح أشغال هذه الندوة الهامة التي تلتئم فيها فعاليات الأسرة التعليمية الوطنية وخبراء من داخل المغرب وخارجه، منوهين باختياركم لموضوع «المدرسة والسلوك المدني» الذي نعتبره خير ما يفتتح به المجلس الأعلى للتعليم أنشطته العمومية »(16).

وقد ورد في الخطاب تعليل للتنويه المذكور:

«وذلكم نابع من إيماننا بحتمية ترسيخ قيم المواطنة ، وفضائل السلوك المدني في الممارسات اليومية، للأفراد والجماعات والمؤسسات، ولاسيما في خضم التحولات العميقة التي تشهدها المنظومات القيمية والثقافية في عصرنا الراهن ، وكذا من العناية الخاصة التي نوليها للمؤسسة التربوية في تنمية ثروة المغرب الأولى المتمثلة في ناشئته وأجياله المواطنة»(17)

يعتبر الخطاب الملكي ترسيخ قيم المواطنة حتمية مفروضة؛ بسبب السياق الدولي الذي نعيشه، حيث التغيرات المتلاحقة التي تصيب كل يوم المنظومات الثقافية والقيمية.

إننا نعيش مرحلة العولمة في ذروتها ، وقد غدا العالم بأسره قرية صغيرة ، تتلاشى فيه الحدود الجغرافية التقليدية باستمرار، وأمام التدفق الإعلامي المتواصل ، والغزو الثقافي الذي تمارسه وسائل الإعلام والتثقيف ودور السينما والشبكة العنكبوتية، صار تحصين الذات أمرا لازما وواجبا ، وليس هذا التحصين سوى ربط الذات بقيمها الوطنية وتقوية روابطها ببيئتها الجغرافية الصميمية، وتقوية الشعور بمرجعيتها الأصلية ، وكل ذلك خشية الذوبان والتماهي والانجراف مع سيول المثيرات الخارجية والتخلي عن الهوية.

إن المدرسة المغربية الجديدة مناطة قبل غيرها بتعزيز روابط الأفراد نحو وطنهم لأنها ليست «فقط مؤسسة تربوية بالمعنى الضيق وإنما هي أولا وقبل كل شيئ مؤسسة اجتماعية، تدخل في علاقات متشابكة مع الوسط الذي تتواجد فيه وتتبادل معه التأثر والتأثير»(18).

إن السلوك المدني الذي عنون به المجلس الأعلى للتعليم ندوته الأولى، لا يقتصر على الجانب الوطني وإنما يمتد للجانب الديني، أتى في نص الرسالة السامية :«إن الغاية المثلى من تنمية السلوك المدني هي تكوين المواطن المتشبث بالثوابت الدينية والوطنية لبلاده، في احترام تام لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، المتمسك بهويته بشتى روافدها، المعتز بانتمائه لأمته، المدرك لواجباته وحقوقه»(19)

يبين لنا هذا النص مفهوم المواطنة من خلال التصور الذي يبسطه للسلوك المدني ، وتبدو المواطنة سلوكا تساهم المدرسة بأدوار طلائعية في اكتسابه وتعزيزة لدى الأفراد.

المواطنة تربية يتلقاها المتعلم / المواطن، رجل/ امرأة الغد، أساسه شخصية قوية ، قوة لا تتحقق إلا بتوافر مجموعة من المقومات الأساسية، من أهمها احتكام الفرد إلى مجموعة من القيم، تتلقى في المدرسة وتستمد من المحيط، لأن الشخصية «كما يحددها قاموس علم النفس، هي تنظيم متكامل وديناميي للخصائص

الجسمية .. والخصائص العقلية المعرفية ، ..والخصائص المعنوية (كالقيم والمثل...)والخصائص الانفعالية الاجتماعية...»[20].

إذا كانت الشخصية تنظيما متكاملا وديناميا لمختلف الخصائص ، فالمؤكد أن وجود خلل أو قصور بإحدى هذه الخصائص ، مؤثر ولا شك على سواء هذه الشخصية ، فلو فرضنا مثلا، أن المدرسة لم تضطلع بأدوارها الأساسية، وعجزت عن اكساب المتعلمين المهارات السلوكية المتصلة بالقيم والمواقف، نظير المواطنة ، ماذا سيحدث لخصائص الشخصية المعنوية، التي هي جزء من التنظيم المتكامل الدينامي لهذه الشخصية ؟؟؟؟

كيف ستكون شخصية الفرد/ المواطن ؟؟؟؟

2-3/ المدرسة المغربية والمواطنة من خلال البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة

لا يمكن تلمس مظاهر المواطنة من خلال الخطاب الرسمي فقط، فهي تتجلى في البرامج والمناهج والتوجيهات التربوية أيضا ، لاسيما الخاصة بالمواد المدرسة بالمدرسة المغربية .

ومادامت هذه البرامج والمناهج متعددة وكثيرة بتعدد المواد ، فسنقتصر في سياقنا هذا على ثلاث مواد ، وهي التربية الإسلامية واللغة العربية والاجتماعيات.

ففي منهاج التربية الإسلامية للسنة الثانية من سلك الباكالوريا ، تصريح بأن منطلقاته ومرجعياته هي :

« الفلسفة التربوية المتضمنة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين ، والتي تستند إلى ضرورة المساهمة في :

ـ تكوين شخصية مستقلة ومتوازنة ومتفتحة للمتعلم المغربي، تقوم على معرفة دينه وذاته ، ولغته وتاريخ وطنه...

ـ اعتبار المدرسة مجالا حقيقيا لترسيخ القيم الأخلاقية وقيم المواطنة وحقوق الإنسان وممارسة الحياة الديموقراطية »[21]

وحين نتأمل منهاج مادة اللغة العربية والاجتماعيات للمستوى نفسه ، نجد المنطلقات والمرجعيات نفسها التي

يصرح بها منهاج مادة اللغة العربية ، من استناد على الميثاق الوطني للتربية والتكوين ، وحرص على تكوين شخصية المتعلم المغربي ، واعتبار المدرسة المغربية فضاء لاكتساب القيم وتعزيزها .[22]

3-3/المدرسة المغربية والمواطنة من خلال المقررا ت والكتب الدراسية :

أ .بتعليم الثانوي الإعدادي

الكتاب	المستوى	الوحدة أو المجال	دروس المواطنة	الصفحات
إحياء التربية الإسلامية ط/2004/1	س2 إعدادي	وحدة التربية الحقوقية	ـ حقوق الآباء/ ـ حقوق الأبناء/ ـ حقوق ذوي الأرحام والجيران/ ـ حق الطريق	78 80 82 84
المرجع في اللغة العربية ط2004/1	س2 إع	القيم الوطنية الإنسانية	ـ الوحدة المغربية عبر العصور ـ المرأة وحق العمل ـ درس في الوطنية ـ 11 يناير ثقافة حقوق الإنسان	46 × 62 70 74
المفيد في اللغة العربية ط2003/1	س1 إع	القيم الوطنية الإنسانية	ـ قيمة الإنسان ـ وطني	64 62

يتبين لنا في ضوء هذا الجدول أن المواطنة حاضرة بقوة في مقررات الكتاب المدرسي بالمرحلة الإعدادية ، حيث لا يخلو كتاب في هذا السلك ، لا سيما في التربية الإسلامية واللغة العربية من إشارة إلى القيم الوطنية التي تلي القيم الإسلامية من حيث الترتيب في الكتاب المدرسي.

وإذا علمنا أن هذه الكتب أقرت في 2004 وفق المنهاج الجديد، التي تم إقراره مع الموسم الدراسي 2003، تبين لنا صدورها تم وفق مرجعيات الميثاق الوطني، ووفق المفهوم الجديد للمدرسة المغربية الجديدة الوطنية ، فلا غرابة إذا أ، تكون هذه المقررات والكتب مليئة بمواضيع تتعلق بالمواطنة وحقوق الإنسان وواجباته.

ب –بالتعليم الثانوي التأهيلي:

وإذا نحن انتقلنا إلى التعليم الثانوي التأهيلي ، لن نجد شذوذا عن القاعدة السابقة، كما يبين لنا الجدول الآتي :

الكتاب	المستوى	المحور	دروس المواطنة	الصفحات
مرشدي في اللغة العربية ط2006/2007/2	الجذع المشترك ع	الثقافية الحقوقية	ـ تكامل حقوق الإنسان ـ جوار بشري واحد	97 101
منار اللغة العربية ط2007	الأولى باكالوريا. ع	قيمة التضامن قيمة التسامح	ـ حبل الاجتماع ـ دعوة إلى التسامح	127 138
الرائد في اللغة العربية ط2007/1	الثانية باكالوريا ع	الديموقراطية قضايا ورهانات	ـ التربية والتكوين ـ الثقافة والسياسة ـ المجتمع المدني	
في رحاب التربية الإسلامية ط2007/1	2 باك جميع المسالك	الوحدة الحقوقية	ـ حفظ الضروريات الخمس ـ حقوق الإنسان في الإسلام ـ التشريع الجنائي في الإسلام ومنهجه في حفظ الحقوق	

من خلال هذا الجدول الثاني، يتبين لنا التركيز الشديد على مضامين تصب في مجال القيم، والمواطنة خاصة، وفي هذا التركيز، تأكيد لحرص الوزارة الوصية على البرامج والمناهج، على أجرأة الميثاق الوطني للتربية والتكوين من خلال ضبط عملية التأليف المدرسي وفق معايير محددة صارمة، تأخذ في الاعتبار ولا ريب، الغايات الكبرى التي سبق تسطيرها في ديباجة الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

إن التأليف المدرسي مرآة المبادئ الكبرى التي تم الإعلان عنها، لذا، تحرص الوزارة الوصية من خلال لجان البرامج والمناهج، ولجان التأليف عموما، على صياغة دفتر تحملات وفق مقتضيات النصوص القانونية المستمدة مرجعياتها من الميثاق عموما، ومن أسمى القوانين السائدة بالمغرب.

لقد تجسدت روح المواطنة العالية في هذه البرامج والمقررات والكتب المدرسية من خلال التنصيص على موضوع حقوق الإنسان، وواجباته، ذلك أن المواطنة الحقة والحقيقية ليست في الحقيقة إلا إحدى تجليات شعور المواطنين في وطنهم بأنهم يتمتعون بحقوق كاملة غير منقوصة، وتترتب عليها واجبات، بمثل النهوض بها

على أحسن وجه المدخل الأساس لأي تنمية مستدامة، ولا يمكن للأفراد المواطنين تنمية بلادهم ووطنهم إذا لم يكونوا يتمتعون هم أنفسهم بتنمية فكرية ووجدانية قائمة على القيم السامية والنبيلة .

خـــاتمة

ولا أحسب أن طرفا آخر، أوجهة أخرى، بمكنته منح المواطنين هذه التربية على قيم المواطنة ، مثل المدرسة، وأي مدرسة ؟؟؟؟

إنها المدرسة المواطنة الجديدة المنفتحة على المستجدات التي تحبل بها الساحة العالمية كل يوم.

هذه هي أهم خلاصة نخرج بها في نهاية هذا المقال ، وبناء عليه ، على أفراد المجتمع مهما كان موقعهم، ومستواهم ، المساهمة الخلاقة والجدية في تطوير مدرستنا والارتقاء بها إلى مصاف المدارس السامية والممتازة من حيث الكم والكيف .

يجب أن نكف عن نظرة النقص والاحتقار التي نراها تطل من عيون كثير من المواطنين الذين يبدو أنهم قد فقدوا ثقتهم بمدرستنا ، حيث لم تعد في نظرهم منتجة ، مادامت تخرج لنا جيوشا من العاطلين غير النافعين ، لا لذواتهم فحسب ، بل ولمجتمعهم كذلك.

هل حان الوقت لنقيس نجاعة مدرستنا المغربية لا بالمعيار الكمي المراهن على الكسب المادي فحسب ، بل بالمعيار الكيفي أيضا؟؟؟؟

يجب أن ننظر اليوم في زمن العولمة المتوحشة إلى مدرستنا المغربية التي نروم أن تكون جديدة وحداثية نظرة مغايرة ، ونسائلها هل وفقت في إعطائنا مخرجات محصنة من الذوبان والانجرار نحو موجات الغزو ، نحن نريد مدرسة قادرة على تخريج أطر مواطنة تتمتع بدرجات قصوى من حب هذا الوطن، وقادرة على العطاء بمقتضى هذه الوشائج التي تشد الفرد إلى موطنه، في ظل التمتع بالحقوق المشروعة ، والقيام بالواجبات المناطة.

إحالات المقال

1 ـ الميثاق الوطني للتربية والتكوين ، ص 11، يناير 2000.

2 ـ خطاب الملك المرحوم الحسن الثاني2 فبراير 1999، موقع اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين
http://www.cosef.ac.ma/homear.html

3 ـ الميثاق الوطني، 11.

4 ـ فلسفات تربوية معاصرة، د:سعيد إسماعيل علي ، ص، 225، عالم المعلافة ، 198.

5 ـ مادة وطن لسان العرب.

6 ـ مفهوم المواطنة في النظام الديموقراطي، إعداد ليث زيدان، الحوار المتمدن، ع 1932، 31/5/2007.

7 ـ الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب المجلس الأعلى للتعليم 4/9/2006
http://www.maroc.ma/NR/exeres/4E519648_646D_4651_89D4_

686FE6FD5728.htm

8 ـ دور المقررات الدراسية للمرحلة الثانوية في تنمية المواطنة، إعداد فريق عمل برئاسة د/ فايزة بنت محمد بن حسن أخضر http://www.edc.gov.sa/lrc/book/dr.fayzah.doc

9 ـ أ.د. جعفر شيخ إدريس مجلة البيان العدد 211 ربيع الأول 1426 هـ.

10 ـ حول المواطنة المتساوية، د.عبد الله الفقيه، جريدة الوسط، الأربعاء، 18 يوليو 2007.

11 ـ الخطاب الملكي خلال تنصيب المجلس الاعلى للتعليم.

12 ـ منظومتنا التربوية إلى أين، ع المجيد بنمسعود، ص، 13، منشورات الفرقان.

13 ـ المدرسة في الوسط القروي مقاربة سوسيولوجية، محمد بنعلي، ص، 95، مجلة علوم التربية، ع13، شتنبر 1997.

14 ـ الخطاب الملكي عند تنصيب المجلس الأعلى.

15 ـ الميثاق الوطني، 15.

16 ـ الرسالة الملكية الموجهة للمشاركين في الندوة الوطنية حول المدرسة والسلوك المدني، 23/5/2007 http://www.maroc.ma/NR/exeres/5B59505B_2301_433C_8D2A_62955C07BBBF.htm

17 ـ نفسه.

18 ـ المدرسة في الوسط القروي، ص :95.

19 ـ رسالة الملك إلى المشاركين في ندوة المجلس.

20 ـ الشخصية السوية، طلعت منصور، ص :66، 65، مجلة عالم الفكر، ع 1982/9/2.

21 ـ منهاج السنة الثانية باكالوريا لمادة التربية الإسلامية، نونبر 2006/ ص، 3.

22 ـ منهاج اللغة العربية ص، 4، 3 والاجتماعيات ص، 4 للسنة الثانية باكالوريا، نونبر 2006.